«إني أومن يا رب، فاسند ضعف إيماني».
(مر ٩ : ٢٤)

رسالة راعوية

لغبطة البطريرك فؤاد طوال

بطريرك القدس للاتين

بمناسبة اختتام سنة الإيمان

(تشرين الأول ٢٠١٢ – تشرين الثاني ٢٠١٣)

٢٥ تشرين الأول ٢٠١٣

المحتويات

المقدمة **٣**

الفصل الأول: ما هو الإيمان؟ **٥**

١) الإيمان فضيلة الهية ٥

٢) الإيمان نور ساطع ٥

٣) الإيمان كنز ثمين ٦

٤) الله أمـين ٧

٥) إيمان إبراهيم ٨

٦) إيمان مريم العذراء ٨

٧) الإيمان والمحبّة ٩

٨) الإيمان والصعاب ١١

الفصل الثاني: لماذا أومن؟ **١٣**

٩) مسيحيون بالوراثة ١٣

١٠) براهين العقل ١٤

١١) أومن بيسوع المسيح... ..... ١٥

١١١ – كلمة الله الأزلي ١٥

١١٢ – المعلم ١٦

١١٣ – المخلص ١٧

١١٤ – النموذج الإنساني الكامل ١٨

مطبعة البطريركية اللاتينية – القدس
بيت جالا – ٢٠١٣

١٢) أومن بالكتاب المقدس ١٨
١١٢ – الكتاب المقدس... مسلسل الخطيئة والتوبة ١٩
٢١٢– الجواب من الكتاب ١٩
١٣) أومن بالكنيسة الكاثوليكية الجامعة الواحدة ٢١
١١٣) معجزة انتشار الكنيسة ٢١
٢١٣) معجزة قداسة الكنيسة ٢٢

الفصل الثالث: الإيمان الموهوب والإيمان المنقول ٢٣
١٤) كل مسيحي رسول ٢٣
١٥) العائلة والرعية والمدرسة تسلِّم الإيمان ٢٤
١١٥) العائلة ٢٤
٢١٥) الرعيّة ٢٥
٣١٥) المدرسة ٢٦
١٦) نداء إلى الرهبان والراهبات ٢٧
١٧) التضحية والمعاناة ٢٨
١٨) تجربة التقوقع على الذات ٢٩

خاتمـة ٣١

المقدمـة

إلى الإخوة الأجلاء الأساقفة وإلى الكهنة والرهبان والراهبات والأشخاص المكرّسين والشمامسة وإلى أبنائنا المؤمنين الأعزّاء في أبرشية القدس،

السلام لكم من لدن ربّنا يسوع المسيح!

في الأحد الأخير من تشرين الأول ٢٠١٢، الموافق عيد سيّدتنا مريم العذراء سيّدة فلسطين، افتتحنا سنة الإيمان بقدّاس احتفاليّ في دير رافات، ولاحقاً في عمّان، في كنيسة سيّدة السلام. ونختتم زمن النعمة هذا، هذه السنة، في الناصرة، على جبل القفزة، في السابع عشر من تشرين الثاني القادم ٢٠١٣، وفي رعايانا في الأحد اللاحق.

ومن الأحداث التي تخلَّلت السنة انتخاب حبر أعظم جديد. ومنذ انتخابه إلى اليوم، ما زال البابا فرنسيس يُدهشنا بتواضعه وتعليمه اليوميّ وقراراته الحكيمة التي تهدف إلى اصلاح الكنيسة وإنعاشها. وبالفعل هبَّت رياح التجديد، ونأمل أن تصل إلى كل واحد منا كي نبلغ «ملء قامة المسيح» (أفسس ٤: ١٣)، فيحقّق كلٌّ واجد منا دعوته الى القداسة والكمال.

صدرت في بداية «سنة الإيمان» رسالة لقداسة البابا بندكتوس السادس عشر، «باب الإيمان»، وختمها البابا فرنسيس برسالة أخرى، «نور الإيمان». وهي رسالة شارك فيها الحبران، البابا بندكتوس والبابا فرنسيس. رسالة حبرين، ونور من الله لنا، في أيامنا هذه الصعبة،

حيث نحن في أمسّ الحاجة إلى إيماننا لنزداد تقبُّلًا للظروف الصعبة التي نعيشها.

سنة الإيمان، تعني سنة أردنا أن نزداد فيها إيمانًا. صلَّينا وقلنا لله: «يا ربّ زدنا إيمانًا» (لوقا ١٧: ٥)، حتى نرى ونزداد هداية في جميع مواقفنا. في هذه الرسالة الراعوية، أوَدّ أن أحاول الإجابة معكم على ثلاثة اسئلة:

١) ما هو الإيمان؟

٢) «لماذا أومن؟»

٣) كيف ننقل هبة الإيمان إلى غيرنا وكيف نسلِّمها للأجيال التي تلينا؟

الفصل الأول

ما هو الإيمان؟

الإيمان فضيلة الهية

١ يُعرِّف التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة الإيمان بأنّه: «الفضيلة الإلهيّة التي بها نؤمن بوجود الله، وبكلّ ما كلَّمنا به الله وأوحاه، وتعرضه الكنيسة المقدّسة علينا لنؤمن به، لأنّ الله هو الحقّ عينه. بالإيمان يسلِّم الإنسان أمرَه كلَّه لله. لذلك يسعى المؤمن إلى معرفة إرادة الله وإلى تتميمها».[١]

ليس الإيمان مجرّد قبول فكريّ لحقائق معيَّنة حول الله، ولكنَّه فعل قبول واستسلام حرّ وطوعيّ، مثل استسلام الطفل بين يدَي والده الذي يحبّه ويعتني به. وهو انتماء إلى الله والتزام كامل يمنح المؤمن الرجاء والثقة الكلّيّة بإله أظهر نفسه لنا في شخص يسوع المسيح، أظهر نفسه قريبًا من كلِّ واحدٍ منّا، مُحبًّا للإنسان محبّة لا حدَّ لها.

الإيمان نور ساطع

٢ نؤمن لأنّ يسوع المسيح ينير لنا الطريق: «جئت الى العالم نورًا، فكلُّ من آمن بي لا يبقى في الظلام» (يو ١٢:٤٦). وهذا النور قادر أن يضيء كلّ مناحي حياتنا، حاضرنا ومستقبلنا، وأن يوجّه

١ التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، رقم ١٨١٤.

مسيرتنا في أيامنا هذه أيًّا كانت الصعاب فيها. نرى واقعنا الصعب، ونرى أكثر وأبعد وأعمق وأعلى مما تقدر عليه العين البشريّة. نرى بقدر ما يرى الله. ولذلك فإنّ الإيمان حكمة تجعلنا نأخذ القرارات الصحيحة في الوقت الصحيح. أمّا إذا غاب هذا النور، «أصبح كلُّ شيء مشوّشًا وأصبح صعبًا جدًّا التمييز بين الخير والشر، بين الطريق الذي يقودنا نحو الهدف والطريق الذي يجعلنا ندور في حلقات مُفرغة، بلا اتّجاه» (نور الإيمان، ٣)، وأصبح من العسير علينا أن نفهم كلّ ما نحن فيه في هذه الأرض وفي كنيستنا وماذا يريد الله منّا. الإيمان هبة من الله، وهبة الله قوّتها في ذاتها، وتصبح قوّة فينا، بها نقدر أن نتمِّم إرادته القدّوسة بالرغم من ضعفنا البشريّ.

الإيمان كنز ثمين

٣ الإيمان هو الكنز الثمين المخبأُ في حقل (راجع متى ١٣: ٤٤). اكتشفناه بنعمة الله، ومن أجله نبيع كلَّ شيء لامتلاكه. والحقل الذي يحوي هذا الكنز هو نحن. ونحن المسيحيّين محظوظون لأنَّنا ملكنا هذا الكنز في الأرض المقدّسة وفيها نشأنا وتعلّمنا إيماننا وعرفنا يسوع المسيح الذي قدّس أرضنا وباركها، ودعانا إلى أن نكون شهودًا له وحاملين لرسالته في الأرض التي علَّم فيها، وفيها مات من أجل خلاصنا وقام وأرسل روحه القدّوس ليرافقنا. ولهذا قال لنا: «لا تخف، أيّها القطيع الصغير» (لوقا ١٢: ٣٢). ومن ثمَّ لا نخَف من قلّة عددنا وضعفنا، فقوّتنا هي في ذاك الذي دعانا من الظلمة الى النور وجعلنا من أبناء النور (راجع ١ بطرس ٢: ٩).

الله أمـين

٤ من آمَنَ أَمِنَ، من آمن بالله كان آمنًا (راجع نور الإيمان، ١٠و٢٣) أي سلك طريق الحياة آمِنًا مطمئنًا لأنّ الله رفيقه، والله وعدَه بالخلاص، أي بالحياة وبالنور، ولهذا يسير بأمان. وبنفس الوقت من آمن بالله مدعو ان يكون امينًا لان الله امين نحونا. قال القديس أغسطينُس: «الإنسان الأمين هو من يؤمن بالله الذي يعد، والإله الأمين هو من يهب الإنسان ما قد وعده به» (نور الإيمان، ١٠).

الله أمين حتى النهاية و لا يُخلف وعوده. والذي يعزّز إيماننا به هو أنّه قادر على كلّ شيء، ويَعلَم كلَّ شيء ويحبُّنا. ومن ثم لا شيء يخيفنا: لا الحاضر ولا المستقبل، ولا الاضطرابات التي تعصف ببلداننا: لأنّنا ننظر ونرى ونؤمن ونعلم أننا آمنون بالأمان الذي هو الحياة كما يريدها الله لنا.

ولتبقى حياة الإيمان فينا وتنمو، لنبقى مع الله. ولذا، لا بدّ من بقائنا في حالة إصغاء إلى كلمته، ولا بدّ من القراءة والتأمل في كلام الله. إذا أصغينا إلى الله سنسمع صوته لأنّ كلامه حيّ، وهو يكلِّمنا في الكتاب المقدس. وقراءة الكتاب المقدّس تكمَّل بمختلف الممارسات، وكلُّها مناسبات للحضور أمام الله: قدّاس الأحد و الصلاة البيتيّة والتقدّم من سرَّي التوبة والقربان الأقدس، ووصايا الله كلُّها. كلّ هذه الممارسات تخلق فينا حياة جديدة، وتُرسلنا لنكون حاضرين في مجتمعنا نحمل إليه الرسالة التي حمّلنا إياها الله.

إيمان إبراهيم

٥ وذكرت الرسالة «نور الإيمان» مؤمنَين كبيرّين هما أبراهيم أبونا في الإيمان ومريم العذراء أمُّ الكنيسة وأمُّنا. ابراهيم لم ير الله ولكنّه سمع صوته وآمن بوعوده حتى ولو كانت أحيانًا تفوق إدراكه. وعده الله بابن في شيخوخته عندما كان كهلًا وامرأته سارة عاقرًا. آمن ونال.

ووعدَه الله بنسل مثل نجوم السماء ورمل البحر، وآمن بوعد الله، حتى عندما طلب الله منه أن يُضحّي بابنه اسحق، وحيده الذي به كان سينال ذرّيّة كبيرة. آمن ابراهيم بأنّ الله الذي وهبه ابنًا عندما كانت احشاء سارة «ميتة» كان قادرًا أن يُحييه من جديد وأن يحقّق وعده بشكل لا يفهمه الآن.

إيمان إبراهيم هو مثال الإيمان الكامل والمطلق، الذي يستسلم ويسير مع الربّ، دون خوف أو تردّد، لأنّ الله أمين لا يُخلِف وعده ولا ينكر ذاته (راجع ٢طيموتاوس ٢:١١-١٣).

إيمان مريم العذراء

٦ عاشت مريم أحداث حياتها بنور الإيمان. صدَّقت كلام الملاك، أنّها ستحبل بدون قوّة إنسان، بل بقوّة الروح القدس، وستلد ابن الله العليّ (راجع لوقا ١: ٣١-٣٢). وآمنت بأن خالتها أليصابات التي تقدّمت في السنّ سوف تلد هي أيضًا ابنًا في شيخوختها، فذهبت مسرعة الى عين كارم لزيارتها والوقوف إلى جانبها. آمنت بالله لَمَّا طلب منها أن تهرب الى مصر، هربًا من اضطهاد هيرودس. آمنت بيسوع ابنها وبسرِّه، قبل أن تدركَ السرَّ كلَّه، فآمنت في عرس قانا

الجليل أنّه سيستجيب لها وأنّه قادر على أن يحوِّل الماء خمراً، ليبارك العُرس. وبه كلّ عُرس في أفراح البشريّة صار مباركًا.

آمنت بأنّ ابنها المائت على الصليب كان يتمِّم إرادة أبيه السماويّ، وأنَّه يقدِّم ذاته ذبيحةً لخلاص العالم. وشاركته في آلامه صامتة وصامدة في الإيمان. فكافأ الله إيمانها عندما أقام ابنها من الموت ظافرًا. وإيمانها أعطاها طمأنينة وقوّة وسعادة عميقة على مدى الأحداث التي عاشتها، ممّا جعل أليصابات تشيد بها قائلة: «طوبى لمن آمنت بأنّ ما بلغها من عند الربّ سيتِمّ» (لوقا ١: ٤٥).

عاشت مريم حياة إيمان بطوليّة، كأَمَة للرب متواضعة مستسلمة لإرادته ومشيئته في حياتها، حتى ولو أنّها لم تكن تفهم دائمًا كلّ شيء. فكانت حياتها «نَعَم» بصورة مطلقة لله. عاشت مريم طاعة الإيمان له تعالى، لعلمها بأنّ الله صادق وأمين، وهو مخلِّصها وفاديها الذي نظر إليها ورفعها وقدّسها واصطفاها لتكون أُمًّا لكلمته الأزلي، الربّ يسوع المسيح، مخلّص العالم (راجع لوقا ١:٤٦-٤٩).

الإيمان والمحبّة

٧ يتحدّث البابا بندكتوس السادس عشر في الرسالة «باب الإيمان»، عن طبيعة العلاقة التي تربط بين الإيمان والمحبّة. فيستشهد بداية بالرسالة إلى أهل غلاطية، حيث يذكر القديس بولس أنّ الإيمان الحقيقي، الذي يحمل القيمة والمعنى الحقيقي، هو الإيمان العامل بالمحبّة (راجع غلاطية ٥:٦)، هذه المحبّة الفعّالة التي تغمر قلب الإنسان المؤمن وتدفعه إلى حمل بشارة الإيمان وإعلانها أمام كلّ شعوب

الأرض. فالمحبّة هي القوّة التي يمنحها الله للمؤمن، وبها يصبح ناقلًا لبُشرى الإيمان، وبها ينمو إيمانه ويزدهر.

ويختم البابا كلامه مع رسالة القديس يعقوب عندما يتحدّث عن الإيمان الحيّ الذي تحييه روح المحبّة الإلهيّة، التي تظهر من خلال أعمال المحبّة تجاه القريب (راجع يعقوب ٢:١٤-٢٦). وطبعًا، لا يستطيع أحد أن يفصل بين محبّة الله ومحبّة القريب، فهما توأمان. فمن يحبّ الله حقًّا تحتَّمَ عليه أن يحبّ القريب. قال القديس يوحنا: «إن قال أحد: إنّي أحبّ الله، وهو لا يحبُّ أخاه، كان كاذبًا. لأنّ الذي لا يحبُّ أخاه وهو يراه لا يستطيع أن يُحبَّ الله وهو لا يراه» (١يوحنا ٤:٢٠-٢١). فالإيمان يثمر بالمحبّة، والمحبّة بدون الإيمان تصبح مجرّد مشاعر ضالّة معرّضة للتشكيك. المحبّة والإيمان كلٌّ منهما يكتمل بالآخر: فنؤمن بمن نحبُّ، ونحبُّ من به نؤمن.[٢]

فلا محبّة بدون إيمان، ولا إيمان بدون محبّة. بدون المحبّة يصبح الإيمان أمرًا مستحيلًا وجهادًا ضائعًا في الفراغ، لا رجاء فيه. وغياب المحبّة تجعل الإيمان باطلًا وكلَّ أعماله هباء. لأنّ المحبّة هي من طبيعة الله. الله محبّة. إن غابت المحبّة غاب الله، وبدون الله يصبح إيماننا وجهادنا الروحيّ عبثًا وهباء. إيماننا المسيحيّ وقوّته ورسوخه، يعتمد أساسًا على مدى محبّتنا لله، ونُموُّ الإيمان يعتمد على مقدار تفجُّر طاقات الحبّ الإلهيّ الكامنة فينا، وهي التي تفجّر فينا منذ الآن ينابيع الحياة الأبديّة.[٣]

٢ راجع، بندكتوس السادس عشر، باب الإيمان، براءة رسولية، روما ٢٠١٢، رقم ٦ و٧ و١٤.
٣ راجع، متى المسكين، الفضائل المسيحية، استشهاد سابق، ص ٥٥-٦٠.

الإيمان والصعاب

٨ نعيش في الأرض المقدّسة وضعًا سياسيًّا واقتصاديًّا صعبًا لا يبدو له حلٌّ في القريب العاجل. هذا الواقع السياسيّ الصعب الذي نلمسُه له آثارُه على جميع سكّان الأرض المقدّسة، وعلى المسيحيّين مثل غيرهم. هذا الواقع المؤلم يثير في نفوسنا تساؤلات عديدة ويبثّ في قلوبنا مخاوف كثيرة حول مستقبل وجودنا، وحول مصيرنا في هذه الأرض. هل سينتهي الوجود المسيحي في أرض المسيح؟ هل سيصبح وجودنا مجرّد ذكرى عابرة؟ أم هل ستصبح كنائسنا مجرد مزارات وأكوام حجارة صامتة؟!

ومع هذا «تتزايد في بيئتنا المسيحية وفي مجتمعاتنا، بشكل عام، نغمة التشكّي والحزن واليأس والتظلّم، لما آلت إليه الأمور في منطقتنا بسبب المحن القاسية التي مرّت عليها. تبدو جماعاتنا المسيحية، في بعض الأحيان، وكأنها على طريق عماوس تردِّد مزامير الخيبة واليأس والقلق، وكأنّها لم تعش خبرة القيامة".[٤] نحن بحاجة الى جواب الإيمان على هذه التساؤلات والتشكّيات. نحن بحاجة الى العزاء الآتي من ايماننا المطلق بعناية الله «الذي يعزّينا في جميع شدائدنا لنستطيع، بما نتلقّى نحن من عزاء من الله، أن نعزّي الذين هم في أيّة شدَّة كانت. فكما تفيض علينا آلام المسيح، فكذلك بالمسيح يفيض عزاؤنا أيضا.» (٢ قور ١: ٤-٥). ونحن نعلم ان يسوع الذي هدّأ العاصفة في بحيرة طبريا سيهدئ كلّ الصعوبات التي تعصف

٤ رفيق خوري، سداسية لأزمنة جديدة – مدخل إلى قراءة الرسالة الثانية، مطبعة البطريركية اللاتينية، القدس ٢٠٠٨، ص ١٣٢.

بنا منذ زمن طويل. لنبق صابرين محرّكين المجاديف بأيدينا، وليس فقط ساكنين، منتظرين قدوم الربّ ماشيًا على المياه لينتهر الأمواج العاتية، وعاملين بقوّة الإيمان الذي فينا وبقوّة المحبّة التي أفاضها الله في قلوبنا كما قال بولس الرسول: «لأنّ محبّة الله أُفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وُهِب لنا» (روما ٥: ٥).

الفصل الثاني

لماذا أومن؟

مسيحيون بالوراثة

٩ ربّما لا يطرح أحد السؤال على نفسه، لأنّه يعتبر أنّه أمر مفروغ منه. فأنا مسيحي لأنّي وُلِدت مسيحيًّا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى المسلمين واليهود والدروز وغيرهم. ولكنّ هذا التبرير غير كافٍ. لأنّ الإيمان ليس أمرًا وراثيًّا بل هو هبة من الله أقبلها بحرّيّتي وبكامل وعيي. ولهذا أحاول أن أفهم ما هو الإيمان. الإيمان فينا هو استجابة لحبّ الله لنا. يبدأ الإيمان في قلب الله، الذي وهبني نعمته، بل ذاته، فكلّم آباءنا في الإيمان (الآباء والأنبياء) ثم أرسل ابنه الوحيد، كلمته الأزليّ، يسوع المسيح، حتى بلغت إلينا هبته، كما تقول الرسالة إلى العبرانيّين: «إنّ الله، بعدما كلّم آباءنا قديمًا مرّات كثيرة، بلسان الأنبياء، كلامًا مختلف الوسائل، كلّمنا في هذه الأيّام، وهي آخر الأيّام، بلسان الابن الذي جعله وارثًا لكلّ شيء، وبه أنشأ العالمين، وهو شعاع مجده وصورة جوهره، يحفظ كلّ شيء بقوّة كلامه» (عبرانيين ١: ١-٣). ويقول قداسة البابا فرنسيس في الرسالة «نور الإيمان»: «الإيمان يولد في اللقاء مع الله الحيّ، الذي يدعونا ويكشف لنا عن حبِّه، وهو حبٌّ قائمٌ قبلنا، وعليه نستطيع أن نستند لنكون راسخين وقادرين على بناء الحياة. وهذا الحبّ يبدِّلنا ويعطينا أعيُنًا جديدة» (رقم ٤).

لهذا نؤمن، لأنّ الله أحبنا فكلّمنا فوهبنا أن نعرفه. إيماننا هو جواب على حبّ الله. أحبّني هو، فقبلتُ منه حبّه وأجبت على الحبّ بالحبّ.

قد يسأل البعض ما هي البراهين على وجود الله. أوّل برهان هو خبرتنا وروحنا والصوت الصارخ فينا كما قال القدس بولس: «تلقَّيتم روحًا يجعلكم أبناء وبه ننادي : يا أبتا. وهذا الروح نفسه يشهد مع أرواحنا بأننا أبناء الله» (روما ٨: ١٥-١٦). بقوّة هذا الروح نؤمن. بقوّة ما نعيشه نؤمن. – ومن هذه البراهين، إيمان الكنيسة مدى التاريخ، وإيمان المؤمنين فيها والقديسين والشهداء. إيمان هؤلاء مثال لحياتي وسند لإيماني.

وفي خبرة كل واحد منّا لا بدَّ من أنّنا لمسنا بصورة خاصّة لحظات حضور لله في حياتنا. لا بدّ من أنّنا اختبرنا رحمة الله وحبّه وعدله وعنايته وسلامه. هو الذي يقودنا في هذه الحياة من ميلادنا وعمادنا حتى آخر لحظة من حياتنا. وكثيرًا ما يختار لنا دعوة لا نتوقّعها، وتكمن سعادتنا في اتّباعها. كلّ واحد منّا سفينة والله ربّانها. وقد نظنّ أنّ ما يحدث لنا في الحياة هو صدفة. مع الله لا توجد صدفة. وللمؤمن بالله لا توجد صدفة، بل يوجد إله محبٌّ ساهر رفيق لنا، «إله معنا»: لسنا ضحايا الصدف والقضاء والقدر، بل نحن أبناء العناية الربّانية، «وكلُّ شيء يؤول الى خير الذين يحبّون الله» (روما ٨: ٢٨).

براهين العقل

١٠ وإلى خبرة الروح في أعماقنا، تضاف أيضًا البراهين

الخارجية، براهين العقل: خليقة الله تشهد على خالقها، إذا كان هناك خليقة فهناك خالق. وإذا كان هناك حركة فثمة مُحرِّك، إذا كان هناك نظام فهناك مُنظِّم. أمام عظمة الخلق، لا يسعنا إلّا أن نضمَّ صلاتنا إلى صلاة صاحب المزامير ومعه نشيد بتسبيح الخالق: «أيّها الربّ سيّدنا، ما أعظم اسمك في الأرض كلها! عندما أرى سمواتك صنع أصابعك والقمر والكواكب التي ثبَّتَّها. ما الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده؟» (مزمور ٨: ٤-٥). وأيضًا: «بكلمة الربّ صُنِعَت السموات... إنّه قال فكان، وأمر فوُجِد» (مز ٣٣: ٦و٩).

لهذا أومن. بقوّة الروح، روح الله، الذي فيّ، وبعظمة الخليقة التي أراها وأسبّح الله فيها.

أومن بيسوع المسيح...

– كلمة الله الأزلي

١١ أومن بيسوع المسيح، كلمة الله الأزليّ. أومن به ربًّا وإلهًا. وفي سنة الإيمان هذه، وفي ختامها، وبعدها سنبقى نناديه مع الرسول توما: «ربي وإلهي". هو إله وإنسان، كلمة الله الذي تجسّد وصار واحدًا منّا وشبيهًا بنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة (عبرانيين ٤: ١٥). هو من قال فيه يوحنا الإنجيلي: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله والكلمة هو الله. به كان كلُّ شيء، وبدونه ما كان شيء ممّا كان» (يوحنا ١: ١-٣). وفيه أيضًا قال: «إنّ الله ما رآه أحد قطّ، الابن الوحيد الذي كان لدى الآب هو الذي أخبر عنه» (يوحنا ١: ١٨).

– المعلم

١١ ٢ أومن به لأنّ تعاليمه سامية، لا أحد يأتي بمثلها. كانت الجموع تندهش من تعاليمه، وكانوا يقولون: «من هذا؟ إنّه يتكلّم كمن له سلطان. لم نسمع أحدًا يتكلّم بهذه الحكمة". تعاليمه معجزة، وعظة الجبل هي قِمّة المعجزة. عندما قرأ غاندي عظة الجبل، وهو لا يعرفه، تأثّر بها، ولمـّا وجد المسيحيّين الذين عرفهم في صورة الاستعمار البريطاني في بلاده مناقضين لتعاليمه، أُعجِب بيسوع وقبِلَه، لكنّه لم يُعجب بمثال المسيحيّين في عصره وتاريخ بلاده لأنّه اكتشف أنّهم لا يعيشون وَفقًا لتعاليم معلّمهم. ولهذا تحدّاهم بقوله: «أعطوني مسيحكم وخذوا مسيحيّتكم». ونحن اليوم، نقول إنّنا مسيحيّون، ونحن أيضًا نعيش في مجتمع لا يعرفه، فلنطرح على أنفسنا السؤال: هل نحن مسيّحيّون كما يريد لنا المسيح أن نكون، وبموجب «كلّ» تعاليمه، بحيث إنّ من رآنا في مجتمعنا يقبل المسيح ويقبلنا معه، أم نكون نحن أيضًا سببًا لبعد غيرنا عنّا، وسببًا لكلّ ما يلي هذا الرفض من صعاب، وهي غالبًا نتيجة لمواقفنا، وليست دائمًا عداءً ممّن يرفضنا؟

وهو اليوم معنا أيضًا. فهو معاصر للبشريّة كلّها، ولكلّ الأجيال، ولكلّ فرد منّا: يسوع معلم رفيق لكلّ فرد منا ويسير معنا، إن نحن فتحنا عين قلبنا وروحنا، وأصغينا إلى ما يقول، وتنبّهنا لكل الأحداث التي يكلّمنا من خلالها: فكلُّ حادثة هي نعمة منه، ونور منه: ما يخيفنا وما يطمئِنُنا في الأحداث كلِّها إنما هي إشارة منه وعلامة على حضوره بيننا.

عندما نتأمّل في حياة يسوع من طفولته حتى مماته، ونتأمّل في تعاليمه ومعجزاته وصلاته وسلطانه على الأرواح الشرّيرة، وفي كلّ ما صنع لمـّا كان في أرضنا هذه المقدّسة، وفي مدننا وقرانا، نسجد له ونكرّر: ربي وإلهي. واليوم نحن بإيماننا نعيده إلى مدننا وقرانا ونستذكر الروح التي أتانا بها، فنراه نحن أيضًا اليوم كما رآه أهل زمانه هنا. نجدّد إيماننا به ونجدّد ثقتنا ونجدّد عيوننا لتراه، لترى من هو، لترى ماذا هو لنا اليوم وفي كل لحظة: رفيقٌ وسندٌ وقوّةٌ وطمأنينة.

– المخلص

١١ ٣ يسوع في نظر الناس، في نظر من لا يعرفه، شخصية فريدة، أذهلت معاصريه في الماضي، وما زالت اليوم تذهل كلَّ من يقترب منه. وأمّا نحن فنعرفه، كما قال يوحنا الرسول في رسالته الأولى: «أمّا أنتم فقد قبلتم المسحة من القدّوس وحصلتم جميعًا على المعرفة» (١يوحنا ٢: ٢٠). نحن عرفناه. فهو أكثر من شخصيّة مذهلة، هو كلمة الله، هو والآب واحد قال «من رآني رأى الآب» (يوحنا ١٤: ١٠). هو المخلّص والفادي. هو من أحبّني وأسلم حياته من أجلي. فهو مَن نحن في حاجة إلى أن نجدّد إيماننا به، حتى نرى كما يرى... كلّما نظرنا إليه، وتأمّلنا فيه، عرفناه، وكلّما عرفناه، طلبنا الاستزادة من معرفته، وكلّما استزدنا منها، زدنا حبًّا له. وكلّما زدنا حبًّا ، طلبنا الاستزادة أيضًا.

لماذا نؤمن به ولماذا نحبّه؟ لأنّه أحبّنا حتى مات من أجلنا. مات في حبّنا أي بسبب حبّنا. ومحبّته هي التي كانت خلاصنا، فبدّلتنا،

ورفعتنا وجعلتنا اهلًا له. لماذا نؤمن به؟ لأنّه هو الذي قال: «لم آتِ لأُخدَم بل لأَخدُم". هو الذي أعطى و لم يأخذ.

– النموذج الإنساني الكامل

١١ ٤ ونحبّ يسوع بسبب عطفه وحنانه وتواضعه وقربه من الناس. أحبَّ الخطأة والعشارين والمنبوذين، وشفى المرضى والممسوسين بالأرواح الشريرة، وما زال يحنو على الخطيئة في عالمنا، حتى يخلّص كلَّ الناس من دمارها. والسؤال نطرحه على أنفسنا: هل نحن نحبّ كلَّ مجتمعنا، كما أحبَّ يسوع كلَّ مجتمعه، بكلِّ من فيه وبكلّ ما فيه، فنسهم في شفائه وفي بنائه ويصبح مجتمعًا لنا جميعًا، ويصبح أرض محبّة وطمأنينة لنا جميعًا، مع مختلف دياناتنا وقوميّاتنا؟ فنحن بيسوع المسيح مخلَّصون ونحن مثله مخلِّصون.

قال يسوع لنا ولجميع الناس: «تعلَّموا منّي لأنّي وديع ومتواضع القلب». وقال لنا الرسول بولس: «تخلّقوا بأخلاق المسيح» – هذا ما ننظر فيه في ختام سنة الإيمان التي عشناها هذا العام، وهذا ما يبقى زادًا لفكرنا وروحنا في متابعة مسيرتنا في إيماننا وفي مجتمعنا.

أومن بالكتاب المقدس

١٢ لماذا أومن؟ لأن الكتاب المقدَّس يروي لي ويُعلِمني بما صنع الله مع الإنسان الذي خلقه، مدى قرون وأجيال، إلى أن جاء يسوع المسيح نفسه، كلمة الله الأزليّ، وحلّ بيننا. أؤمن لأنّ بين يديَّ الكتاب المقدّس. والكتاب المقدّس مجموعة كُتب (في العهد القديم

٤٦ كتابًا، وفي العهد الجديد ٢٧). كلُّها تروي توجه التاريخ، في مراحله المتتالية، إلى مجيء يسوع المسيح.

– الكتاب المقدس ... مسلسل الخطيئة والتوبة

١١ ٢ وملخَّص هذا التاريخ الإلهيّ والإنسانيّ هو قصّة خطيئة الإنسان وتوبته إلى الله من جهة، وقصّة صلاح الله وتوبته على الإنسان واستمرار عهده ومحبَّته له، من جهة أخرى. في الكتاب المقدّس نقرأ تاريخ البشريّة الضعيفة وأمانة الله المتكرّرة، فنجد فيه الهداية في ضعفنا المستمرّ والذي لا يختلف عن ضعف آبائنا وأجدادنا في الماضي البعيد والقريب، كما يجب ألّا نختلف عن آبائنا وأجدادنا في إيمانهم وتوبتهم وعودتهم المستمرّة إلى حبّ الله الأمين. فالكتاب المقدّس بهذا المعنى هو نور الله وهدايته لنا في تقلّبات تاريخنا الحاضر. وبدون رؤية الله (بناء على قراءة متنوّرة للكتاب المقدّس في عهدَيه القديم والجديد)، يصبح الكون الواسع الذي نعيش فيه مجرد طلاسم او قفز في المجهول (راجع «نور الإيمان»،٣). فتاريخ الله مع الناس كما يقدِّمه الكتاب المقدّس هو الذي يُلقي بضوئه على الكون، فنعرف سبب وجوده وغايته ومكاننا ورسالتنا فيه.

– الجواب من الكتاب

١٢ ٢ الكتاب المقدّس نور لي في مواجهة كلّ التحدِّيات. لدى كلّ انسان تساؤلات ومشاكل فلسفيّة ووجوديّة مثل: من هو الله؟ لماذا الشرّ في العالم؟ لماذا الأشرار ينعمون والصالحون يعانون؟

لماذا الألم؟ لماذا الموت؟ ماذا بعد الموت؟ هل من عدالة إلهيّة في هذا العالم؟ أم العدالة الإلهيّة تتمّ فقط في العالم الآخر؟ هل يعتني الله بالعالم وبالكون؟ هل يعرفني شخصيًّا؟ أم أنا مجرّد رقم وكلُّ الناس أرقام؟ هل لديه مخطَّط على حياتي؟ ... في هذا الكتاب سنجد ما يجيب على تساؤلات عقلنا وقلبنا، ولو بقيت أمورٌ عاصيةً على رؤيتنا ومشاعرنا المباشرة.

إذا قرأنا الكتاب المقدّس يوميًّا، سنغتني بغناه، وأهمّ من ذلك، سنتخلَّق تدريجيًّا بخُلُق المسيح. وسننال ثمار الروح التي تسند حياتنا في كل الظروف، والتي ذكرها القديس بولس في الفصل الخامس من الرسالة إلى أهل غلاطية: «ثمار الروح القدس هي المحبّة، والفرح، والسلام، والصبر، واللطف، وكرم الأخلاق، والإيمان، والوداعة والعفاف» (غلاطية ٥: ٢١).

يقول القديس باسيليوس الكبير انّ كلمة الله «شفاء» للإنسان من كلّ أمراضه الروحيّة والنفسيّة والأخلاقيّة والجسديّة. وثمّة علاقة بين صحّة النفس والجسد. فالإنسان الذي يعيش حياة منتظمة، فيها فرح، وسلام داخليّ، ينعكس ذلك حتى على طباعه وصحَّته. بقراءة الكتاب المقدّس نحصل على ثمار الروح القدس التي تساعدنا في حياتنا اليوميّة لنعيش حياتنا وننعم بها على أفضل ما تكون الحياة. وفي الكتاب المقدّس قال القديس فرنسيس الأسيزيّ أيضًا: انّ الكتاب المقدّس هو «مدرسة ومكان شفاء إلهيّ: نكون أصحّاء وأطبّاء روحيّين بمقدار ما ننفتح على كلمة الله الخلاصيّة».

أومن بالكنيسة الكاثوليكية الجامعة الواحدة

١٣ جاء في الرسالة «نور الإيمان»: بالإيمان «يتحوَّل كيان المؤمن فيصبح كيانًا ذا بعد كنسيّ» (رقم ٢٢). لأنّ الكنيسة كما يقول القديس بولس هي «جسد واحد» وكلُّ المؤمنين هم واحد في المسيح (راجع روما ١٢: ٣). «وكما أنّ المسيح يضمُّ إلى ذاته جميع المؤمنين، الذين يكوِّنون جسده، يفهم المسيحيّ نفسه كائنًا في هذا الجسد، في العلاقة الأصليّة مع المسيح ومع الإخوة في الإيمان» (رقم٢٢).

– معجزة انتشار الكنيسة

١١٣ وهذه الكنيسة التي أنتمي اليها هي معجزة في انتشارها وفي استمراريّتها. طفل صغير وُلِد في مغارة، ولمّا كبر علّم وصنع المعجزات، ولكن حُكِم عليه بالموت على صليب: وبعد موته قوبِل تلاميذه بالاضطهاد. والكنيسة التي آمنت به نمت وانتشرت، أوّلًا في الإمبراطورية الرومانيّة نفسها التي حكمت عليه بالموت، ومن بعدها في بلدان العالم، واليوم في العالم كلّه. واستمرّت الكنيسة عبر القرون والأجيال والمعارضات والتحدّيات الكثيرة، من الداخل ومن الخارج. وقد تنبّأ المتنبّئون بنهايتها، منذ القرون الأولى، وفي عصر النهضة، وفي بداية الثورة الصناعيّة، واليوم في غمرة الثورة التكنولوجيّة. والكنيسة ما زالت تخرج من كل أزمة منتصرة. وما زالت مستمرّة حتى اليوم: ما زالت سفينة بطرس تمخر عباب بحر التاريخ، ويسوع فيها يُهدّئ العواصف من حولها ويلقي تعليمه «كمن له سلطان» (متى ٧: ٢٩).

– معجزة قداسة الكنيسة

١٣ ٢ وأومن ليس فقط بسب استمراريّة الكنيسة، بل أيضًا لما أرى ويرى فيها كلُّ ناظر إليها أي فيضَ الصلاح بالرغم من كلّ قوى الشر التي تصدمها أو تعترك فيها أحيانًا. أومن بسبب قداسة الكنيسة. الكنيسة فيها نعمة وخطيئة، فيها، نعم، خطأة ولكن فيها أيضًا قدّيسون. وقد ملأ القدّيسون تاريخ الكنيسة الطويل منذ القرن الأوّل وحتى القرن الحادي والعشرين. القدّيسون هم ثمرة الشجرة الصالحة، هم أصدقاء الله، في هذا البيت العجيب، بيت الإيمان الذي بناه الله «في المدينة ذات الأسس والله مهندسها وبانيها» (عبرانيين ١١: ١٠)، هم أبطالنا، وآباؤنا وإخوتنا في الإيمان، ونماذجنا وشفعاؤنا. ينتمون إلى كل الفئات والاعمار، منهم الأطفال والشباب والرجال والنساء، والمتزوّجون والعذارى والمكرَّسون والمكرّسات. ومن بين هؤلاء استقبلنا قبل فترة ذخائر القديسة تريزيا للطفل يسوع ثم القديس يوحنا بوسكو. ونحتفل كل سنة بطوباويّتَين من بلادنا، الطوباويّة مريم ليسوع المصلوب والطوباويّة ماري ألفونسين. هذه القداسة الوافرة دليل حضور الروح بيننا. وفي سيرة هؤلاء الرجال والنساء نماذج إيمان، بل مرجعيّات وهداية لمواقفنا اليوم في مختلف الظروف. ونحن واثقون أنّه يعيش بيننا قدّيسون أحياء، في رعايانا وخارج رعايانا. يعيشون الإنجيل كما يجب أن يُعاش، وهم صوت يقول لنا إنّنا نحن أيضًا يمكننا أن نعيش كما عاش يسوع المسيح.

الفصل الثالث

الإيمان الموهوب والإيمان المنقول

كل مسيحي رسول

١٤ قال البابا فرنسيس، بضعة أيام قبل رحلته الأخيرة إلى البرازيل لحضور أيّام الشبيبة العالميّة، قال في مشاركة له على «التويتر» (Twitter) مع كلّ من يقرأ حكمته: «في سنة الإيمان، دعونا نتذكّر أنّ الإيمان ليس شيئًا نمتلكه، ولكنّه شيء نتشاركه مع غيرنا. كلّ مسيحيّ هو رسول».

ومعنى ذلك أن: اقبلوا هبة الإيمان وانقلوها لغيركم ولا تحتفظوا بها لأنفسكم. وثمّة أمر من يسوع لا نستطيع تجاهله: «اذهبوا وبشّروا كلّ الامم» (مرقس ١٦: ١٥)، و«كما أرسلني الآب أنا أرسلكم» (يوحنا ٢٠: ٢١). أي إنّ هبات الله لا يُغلَق عليها في أي ذات بشريّة، إنّما هي نصيب كلّ الناس.

وماذا نبلِّغ؟ وماذا نسلِّم لغيرنا؟ نسلِّم ما تسلّمنا وقبلناه وآمنّا به. آمنّا بالله، خالقا، إلهًا صالحًا وقديرًا وعادلًا ورحيمًا ومحبًّا للبشر. وآمنّا بيسوع المسيح كلمته الأزليّ. وآمنّا بالروح القدس المحيي ومانح المحبّة والقوّة، والذي يذكّرنا بكل ما علّمنا إيّاه يسوع (يوحنا ١٤: ٢٦). آمنّا بكلّ ما علّمنا إيّاه يسوع المسيح، وبكلّ ما دوَّنه الرسل من بعده في الأناجيل والرسائل. بكلّ ذلك آمنّا. وبقانون الإيمان كلّه.

الله الآب ويسوع الابن والروح القدس. والكنيسة من بعده. والحياة الأبديّة. وأنَّ ذلك كلَّه ليس معلومات نعرفها ونلقّنها فقط، بل هي مبادئ حياة نعيشها ونورٌ في التحدّيات التي تواجهنا، وقوّة ومحبّة فينا، مثل قوّة الله ومحبّته. وكيف نعيش حياتنا الفرديّة كلّ يوم وكيف نعيش مع مجتمعنا وفيه، في بيتنا، وفي الرعية، وفي المدينة وفي الوطن. كلّ ذلك آمنّا به. وكلّ ذلك نسلّمه لمن سيأتي بعدنا ليبقى الإيمان على الأرض وفي قلوب الناس وفي تعاملهم بعضهم مع بعض.

العائلة والرعية والمدرسة تسلّم الإيمان

– العائلة

١١٥ ومن يسلّم؟ كلّ مؤمن، كل من تَسلَّم هبةً الإيمان فهو مسؤول عن تسليمها لغيره... ونبدأ بالبيت. العائلة مسؤولة، الأب والأمّ مسؤولان أمام الله عن تسليم الإيمان لأبنائهما وبناتهما. فهما أوّلًا يجب أن يكونا مؤمنَين، عارفَين لما آمنَا به، ومن ثم قارئَين للكتاب المقدّس، ومتغذّيَين بسرّ القربان الأقدس، وقويَّين بكلمة الله وبقربان الذبيحة، ليمنحا أبناءهما وبناتهما القوَّة نفسها والغذاء نفسه.

قد تتّكل العائلة على الكنيسة وعلى المدرسة. نعم، لها أن تطلب المعونة من الكنيسة، فالإيمان كما جاء في الرسالة «نور الإيمان» ليس شأنًا فرديًّا بل موقفٌ جماعي، موقفُ كنيسة. إيمان كلّ فرد هو إيمان الكنيسة، إيمان معها وفيها، أي مع الرعيّة وفيها، ومن ثم هكذا يكون أيضًا تسليم الإيمان : بالرعيّة، صورة الكنيسة الجامعة، الكلّ يساند الكلّ، جسدٌ واحد، كما قال القديس بولس. فالكلّ يعيش حياة

واحدة، حياة إيمان واحدة. ولكن هذه الحياة مع الكنيسة، مع الرعيّة، لا تعني أنه يجوز للعائلة أن تتخلّى عن مسؤوليّاتها. بل هي مسؤولة كما أن الرعيّة كلَّها مسؤولة. ربُّ العائلة وربّة العائلة يتمتعان، منذ عمادهما بهبة «الكهنوت الملكي»، ويمكن ان نقول انهما «كاهنان» و«رسولان» في بيتهما. ولهذا، فإنّ العائلة تسلِّم الإيمان للابناء، وبذلك يتحول البيت إلى مكان فيه يشعر كلُّ فرد من أفراده أنّ الله حاضر معه.

– الرعيّة

١١٥ والرعيّة تسلِّم الإيمان. والرعيّة تعني الجماعة كلَّها في كل حالاتها: عندما تصلي معا، وتحتفل معا، وتفرح معا، تحزن معا. الجماعة المؤمنة هي البيئة التي تبلِّغ وتسلِّم الإيمان. والرعيّة تعني كلّ فعاليات الرعيّة وكلّ مجموعات العمل الرعويّ فيها. كلُّها تقوم بمسؤوليّة تسليم الإيمان، ليس فقط لأعضاء المجموعات المحدودة، بل للرعيّة كلها، للقريب والبعيد. والرعيّة تعني طبعًا وأوّلًا كاهن الرعيّة أو كهنة الرعيّة.

ماذا يسلّمون لأبناء الرعية؟ إيمانًا هو قانون الإيمان، وإيمانًا يعيشه الفرد المؤمن، في حياته الفردية والعائلية والاجتماعية، لانه يعيش ويتفاعل مع مجتمع متكامل بكلّ ما فيه من مظاهر حياة بشريّة. المؤمن يحمل هموم كلّ مجتمعه، ولا شيء يغيب عنه. وابن الرعية هو ابن المجتمع كلِّه، ولا شيء غريب بالنسبة إليه: الاقتصاد والسياسة وكلّ مجالات الحياة. فكاهن الرعيّة يرافق المجتمع بكلّ مظاهره ويطّلع عليها، حتى يقدر أن يهدي ويوجّه ويرافق المؤمنين في مجتمعهم. المؤمن ليس

مدعوًّا إلى أن ينعزل في رعيّته، وإلّا هجرها كما يحصل مع الكثيرين، بل إلى مؤمنٍ مصلٍّ في رعيّته ومنها ينطلق مرسَلًا ومشاركًا ومتضامنا مع مجتمعه. عظة الكاهن هي كلمته الأسبوعيّة لأبناء رعيّته، هي إرشاده الأسبوعيّ، ولهذا يجب أن يكون إرشادًا لمؤمن يعيش في مجتمع أوسع من الرعيّة، بكلّ ما في المجتمع من اضطرابات أو مظاهر تبدو غريبة أو مزعجة. كلُّ شيء يهمّ الانسان يجب ان يهم المؤمن. ومن ثمَّ وجب انفتاح العظة وانفتاح الرعاة على الواقع المحلي والوطني والعالمي ليقوموا بمسؤولية تسليم صحيح للإيمان، في عالم خلقه الله كلَّه، وفي عالم عاش فيه يسوع المسيح. ليسَت الرعيّة وحدها بيئة ابن الرعيّة، بل هي جزء غير مجزّأ من عالم الله الواسع. والمجتمع الإنساني بكل مظاهره هو عالم الله والبيئة التي ينمو فيها المؤمن ويعيش ويشهد لايمانه.

– المدرسة

٣١٥ ثم تأتي المدرسة وهي من معاوني العائلة وكاهن الرعية في تسليم الإيمان. وفي مدارسنا المسيحيّة مسؤولون هم المدراء والمديرات، الرهبان والراهبات، المعلمون والمعلمات. فليعوا أنّهم يديرون مدرسة ويبلِّغون في الوقت نفسه رسالة الإيمان، يربّون كلّ طلّابهم وطالباتهم على العيش في علاقة سليمة مع الله. ومن ثَمَّ أهميّة التربية الدينيّة. لا يسعنا أن نقول إنّنا صنعنا كلّ ما يلزم في هذا المجال. حقّقنا نجاحات في التربية العلميّة، أمّا في التربية الدينيّة فما زال هناك جهد كبير يجب أن يُبذَل.

كانت سنة الإيمان لمدارسنا بصورة خاصّة سؤالًا وإثارة قضية

لكيفيّة القيام بمهمّتها، وكيف ترافق وتربّي إيمان طلّابها وطالباتها. أيَّ نوع من الإنسان تربّي؟ نربّي أكثر من حملة شهادات، نربّي إنسانًا يعرف أن يكمّل شهادته برؤيته لله وبمحبّته لكل إخوته. ووضع التربية الدينيّة والانسانية بحاجة إلى إعادة نظر. كلّ مدرسة بحاجة إلى معلمين مؤهّلين في التربية قادرين إلى أن يصنعوا رجالًا ونساء واثقين من أنفسهم ومؤمنين بربهم. انتهت سنة الإيمان، ولكنّ الإيمان مسيرة مستمرّة، لكلّ فرد ولكلّ مربٍّ ومربّية بصورة خاصة، ولكلّ مدرسة مسيحيّة. – كلُّنا ثقة أنَ سنة الإيمان ستكون مناسبة لانطلاقة جديدة للقيام بهذا الوجه الرئيسي من واجبات المدرسة.

نداء إلى الرهبان والراهبات

١٦ أنتم مثبِّتو الإيمان في المؤمنين. ونقدِّر وجودكم في كنيستنا، سواء كنتم منها، أم مرسلين من مختلف كنائس العالم. أنتم جميعا تحملون رسالة الإيمان للمؤمنين في هذه الأرض المقدّسة. لكلّ رهبنة مواهبها، ولكلّ الرهبنات موهبة عامّة هي تثبيت المسيحيّين في إيمانهم. بحضوركم بيننا، بمشاعركم، بمشاركتكم في ما نعيش ونشعر كلّ يوم في الكنيسة وفي المجتمع، بصلاتكم مع صلاتنا، بخدماتكم الاجتماعية، بكلّ ذلك تثبّتون إيمان المؤمنين. ولهذا رافقوا الناس في كل حياتهم وفي قضاياهم اليومية والوجوديّة. وكلّنا يعلم أنّ هذه الأرض بكلّ من فيها، وليس المسيحيّون فقط فيها، ما زالوا يواجهون قضيّة مصير ووجود، ولنا نحن المسيحيّين هي قضيّة إيمان بحبّه تعالى لنا ولجميع الناس. ففي نهاية سنة الإيمان، لتطرح كلّ رهبنة على نفسها

السؤال: ما مدى وعيها لقضية المصير هذه وماذا يمكن أن يقدِّم إيمانها للناس في هذه الأرض؟

التضحية والمعاناة

١٧ إنّ دماء الشهداء التي سقت الأرض أصبحت بذارًا غزيرًا للمسيحيّين. وحيث تعاني الكنيسة، يزداد الإيمان قوّة. وحيث اضطُهِدت الكنيسة في الماضي ازداد الإيمان حيويّة وازدادت الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة. كلّ سنة يموت في العالم آلاف المسيحيّين من أجل إيمانهم ومعتقداتهم. هذا، ما عدا الاضطهادات والاستخفاف والمعاناة التي لربما مرَّ بها بعضُنا بسبب ايمانه.

وفي بلداننا العربيّة اليوم كلِّها معاناة. والكلّ يعاني كإنسان. فالمسلم السنّي والشيعي يعاني، والدرزي يعاني. والمسيحيّ أيضًا يعاني. قد تختلف أسباب المعاناة، فللبعض هي أسباب ونزاعات سياسيّة. أما للمسيحيّين فالسبب هو إيمانهم، ولو جاءت المعاناة في البيئة العربية العامّة المضطربة والمتهيّجة سياسيا. فما موقف المسيحي؟ المسيحي مواطن ومشارك مع كل مواطنيه في مصير بلاده وتطوّرها وتكوّنها ولو بالدماء والتضحيات. وعندما يتعرَّض المسيحي للمعاناة لأنّه مسيحيّ على يد بعض المجموعات الغريبة، فموقفه هو أن يتذكَّر أوّلًا كلام يسوع المسيح: «ستأتي ساعة يظنُّ فيها كلُّ من يقتلكم أنّه يؤدّي إلى الله قربانًا» (يوحنا ١٦:٢) وقال أيضًا: «لا يَهُمَّكم حين يُسلِمونكم كيف تتكلّمون أو ماذا تقولون، فلستم أنتم المتكلِّمين، بل روح أبيكم يتكلَّم بلسانكم» (متى ١٠:١٩). المسيحي يستعدّ لحياته

الطبيعيّة، ويسعى أمام نظر الله وعنايته ليحقِّق فيها نجاحًا واطمئنانًا، ولكنّه يستعدّ أيضًا لكلّ نوع من التحدّيات حتى ولو بلغت أقصاها، أي التضحية بالحياة، كما يحصل اليوم في العراق وفي سوريا ومصر. وإنّنا لنجد تعبيرًا عن مثل هؤلاء الذين عانوا وقدّموا حياتهم في سبيل إيمانهم، صوتَ واحدٍ منهم، هو الأب فرنسيس مراد، من كنيسة السريان الكاثوليك، في سوريا. ترهَّب ونسَكَ، وبلغه تهديد الموت في منسَكه، فلجأ إلى دير للرهبان الفرنسسكان في بلدة الغسّانية، ومع ذلك هناك بلغته يد المهدِّدين، وفي قلب الدير قبِلَ الموتَ شهادة في سبيل ربّه ومن أجل خلاص كلّ الناس في وطنه. وكان مدركًا لما كان ينتظره. فاتّخذ الموقف المسيحي الصحيح، فكتب إلى أسقفه أيّامًا قبل استشهاده: «كلَّ يوم يختفي واحد منّا، ولا ادري متى يأتي دوري. في كلّ الأحوال أنا مستعدٌّ للموت، ولتتذكّر كنيستي أنّني قدّمت حياتي بفرح من أجل كلّ مسيحيّ في هذا البلد الحبيب. صلّوا من أجلنا [...] سأقدّم حياتي بكلّ طيبة خاطر من أجل الكنيسة والسلام في العالم، وخصوصًا من أجل بلدنا الحبيب سوريا». هذا موقف المسيحي، تشدِّده كلمات يسوع المسيح: «لا تهتموا لما تقولون أو تفعلون. فالروح يلهمكم ما تقولون وما تفعلون».

تجربة التقوقع على الذات

١٨ تجربة الموقف السهل قد تراود البعض: ننعزل ونتفرّج على الأحداث يصنعها غيرنا. ليس هذا موقفًا مسيحيًّا. الموقف المسيحيّ هو الحضور والاندماج الفاعل. وقد عالج مجلس بطاركة

الشرق الكاثوليك في رسالتهم حول الحضور المسيحي في الشرق، هذا الموضوع الخطير. تقول رسالة البطاركة ان المسيحيين مدعوّون إلى الحضور في هذه الأرض كواقع إيمانيّ. وهذا الحضور يعني أن نكون علامة لحضور الله وسط المجتمع الذي نعيش فيه، أي علامة إيمان بالله الحيّ ورجاء بالرب المخلِّص. الحضور يعني أيضاً أن نكون في المجتمع ومن أجل المجتمع دون ذوبان وفقدان هوّيّة، وليس معارضين للمجتمع أو خارجاً عنه أو على هامشه بتقوقع وانعزالية، الأمر الذي تدعو إليه الطائفيّة. الحضور يعني دعوة ورسالة وشهادة إيمان، دعوة إلى أن نعيش كمسيحيّين مؤمنين بالله وبابنه يسوع المسيح في الروح القدس، في هذه الأرض لا سواها. الحضور يعني ألّا نكون ونعيش من أجل ذواتنا وفي خدمة أنفسنا فقط، بل يعني أن نكون شهودًا للمعلِّم الإلهيّ نحمل رسالته الخلاصيّة والبشرى السارّة التي أتانا بها.

«إذا كانت الجماعات المسيحيّة في الشرق قد انغلقت في الماضي على ذاتها، وفقدت معنى الرسالة والشهادة بسبب ظروف تاريخيّة قاهرة، مكتفية بالبحث عن الاستمرار في الوجود فحسب، فإنها مدعوّة اليوم إلى التحرُّر من رواسب الماضي لتُحيي معنى الرسالة في حياتها، فتنفتح على العالم المحيط بها، وتشهد لذلك الكنز الدفين، الذي عثرت عليه، والذي يفرح قلبها كما يفرح قلب كلِّ إنسان».[٥]

٥ رفيق خوري، سداسية لأزمنة جديدة – مدخل إلى قراءة الرسالة الثانية، مطبعة البطريركية اللاتينية، القدس ٢٠٠٨، ص ١٣٢.

خاتمة

كانت سنة إيمان دُعِينا فيها إلى أن نجدِّد إيماننا ونقوِّيَه. ودُعِينا إلى طرح الأسئلة على أنفسنا؟ هل نعيش بحسب ما نؤمن؟ هل نعيش بحسب ما علّمنا يسوع المسيح؟ هل وعينا كلام الرسول بولس: «تخلَّقوا بخُلُق المسيح؟» وفي التحدّيات التي تواجهنا هنا في بلداننا وفي كل البلدان العربية، كيف نُعِدّ أنفسنا لنعيش بحسب إيماننا؟ كانت سنة تساؤل وفحص ضمير لنا كُلّنا، للرعيّة وكهنة الرعايا، والعائلة، والمدرسة، والرهبان والراهبات: أين نحن من إيماننا؟ وبناء على ذلك، سنبذل جهدًا جديدًا في سبيل تجديد نفوسنا، في سبيل أن نرى النور الذي ينير حياتنا وأحداث حياتنا كلّها، لنرى فيها حبَّ الله حيثما شاء أن يلتقينا، في الصعاب أم في الأوضاع السهلة.

كانت سنة الإيمان سنة جهد خاص، ولكنَّ حياة الإيمان لا تُحصَر في سنة، لان حياتنا كلَّها جهد مستمرّ للتجديد، ونحن مناشدون لان نتصرَّفَ كمؤمنين مع أنفسنا ومع جميع غيرنا.

انه مسيرة إيمان في وسط صعابنا وفي بلداننا وفي كلّ بلدان الشرق الأوسط. حروب وثورات واحتلال في فلسطين واستقرار ينضَّج في الأردن، وفي كلِّ بلد عربيّ امتحان لمقدرة المسلم على تقبُّل المسيحيّ ولمقدرة المسيحيّ على تقبُّل المسلم، ولمقدرتنا معًا على المرور في الثورات العاصفة من دون أن نتحطّم، بل نخرج منها جميعًا أقوى ممّا كنا، ونباشر ببناء حاضر ومستقبل جديد. في هذه العاصفة عانى

الكثيرون من المواطنين، المسلمين السنة والشيعة والدروز وكذلك المسيحيّون. وتميز استهداف المسيحيّين من قبل مجموعات غريبة. وسمعنا صوتًا واضحًا في صفوف الشهداء يوصِّل إلينا رسالة محبّتهم وفي محبّتهم قوّتهم وخلودهم. قدم حياتهم للجميع ولقاتليهم أنفسهم حتى يهبهم الله النور ويفتح قلوبهم وأذهانهم. قضوا «ورجاؤهم مملوءٌ خلودا» (حكمة ٣: ٤).

تساءل البعض وما زالوا يتساءلون: هل يبقى مسيحيّون في هذه الأرض المقدّسة؟ ويراهن الكثيرون على زوالنا. بل سنبقى. أقوياء بما نحن، وبما قاله لنا السيد المسيح «أنتم ملح الأرض»، أقوياء بأنّنا ملح أي عدد قليل. أقوياء بما ندرك بإيماننا، وبما ندرك بمحبّتنا. وأقوياء بما نصنع نحن لنفوسنا، ومن ثم بإسكات كل شكوى وأنين، وبتبديل الشكوى والأنين بصلاة وبحوار مع كل مجتمعنا ومع كل الأحداث، فكل حادثة نعمة، وعلينا أن نجعلها كذلك لنا ولكل مجتمعنا.

ونستمر في عملنا وفي صلاتنا ومع الرسل نقول:

«آمنّا يارب، فزدنا إيمانا».

+ البطريرك فؤاد طوال

القدس في ٢٥ تشرين الأول ٢٠١٣

سنة الإيمان

YEAR OF FAITH 2012 2013

في
الأرض
المقدسة
٢٠١٢-٢٠١٣

«إني أومن
يا رب، فاسند
ضعف إيماني».
(مر ٩ : ٢٤)